

يوم هادئ في المطرية

كتبه نون بوست | 2 فبراير, 2015



ترجمة وتحرير نون بوست من الفرنسية

يقع حيّ المطريّة في شمال شرقي القاهرة وهو حي فقير ولكن ليس لدرجة البؤس، وهنا يقوم الميكروباص والتوكتوك بإنزال وتحميل الركاب دون أدنى احترام لقواعد المرور.

إنه يوم العطلة الأسبوعية، عند منتصف النهار وكما هو الحال في كل أنحاء مصر يتوجه أغلب السكان إلى لمسجد لأداء الصلاة جماعةً، الطقس صاف مع بعض الرياح والبرودة، عند جانبي الشارع الكبير المسمى "شارع الحرية" تصطف مبان صغيرة مكونة من طابقين أو ثلاثة ومتاهة من الأزقة الغير معبدة التي لا يتجاوز عرضها المترين أو ثلاثة المؤدية لقلب الحي، في الساحة المركزيّة وفي محيط المسجد الرئيسي، تقف العربات المصفحة وبجانبتها أفراد الشرطة الملتئمين وضابط بزي مدني يتمشى حاملاً بندقية مضحكة تذكّرنا ماسورتها البالغ طولها حوالي المتر بفيلم غربي قديم، ولكن هذه البندقية يمكن أن تطلق رصاصًا حقيقيًا، رغم أن المارة يحاولون تجاهل هذا الحضور الأمني.

هنا كما في بقية الأماكن، المساجد الصغيرة كثيرة، يُنصت المصلّون لخطبة الإمام الذي يخضع بدوره لرقابة شديدة، ويؤدون الصلاة وبعضهم يصلّي في الشارع مفترشاً جريدة أو زربيّة، وما إن تنتهي الصلاة وتبدأ جحافل المصلين بالتدفق للخارج حتى ترتفع الصيحات ويتجمع مائتان أو ثلاثمائة شخص، المشاركون أغلبهم من الرجال وهم شباب تغمرهم الثقة وفيهم من يشعر بالسعادة لأنه

يعبر عن رأيه، ومعهم مجموعة من الشباب تشجعهم وترفع شعارات "رابعة" شعار اعتصام الإخوان المسلمين، وأحدهم يحمل صورة الرئيس السابق محمد مرسي، ولكن هذه الأجواء السلمية خادعة، هنا يعلم الجميع أن الشرطة يمكن أن تطلق النار بهدف القتل في أي وقت، أو تنطلق رصاصة قناص لتردي أحدهم، أو يقوم ضابط يرتدي الزي المدني بإخراج سلاحه وقتل متظاهر دون أن يخضع لأي محاسبة، فذكريات الأسبوع السابق مازالت تخيم على الأذهان.

خلال يومي الخامس والعشرين والسادس والعشرين من يناير أثناء الذكرى الرابعة للثورة، عرف الحي نوعًا من الانتفاضة، فقد خرج تمامًا عن سيطرة قوات الأمن المركزي التي حاولت ملاحقة واعتقال المتظاهرين فوجدت نفسها تائهة في الأزقة، واستوجب الأمر ثمانية وأربعين ساعة وخمسة عشر قتيلًا لاستعادة النظام ولم يبق من ذاك الزحام سوى عربة "شيفروليه" بها آثار الطلق الناري ألحها رابضة في المكان.

اتهم الإعلام الحكومي والخاص الإخوان بإطلاق النار على الشرطة وادّعى بأن الأهالي تصدوا للمتظاهرين كالعادة، ويجب قراءة الصحف الإلكترونية الناطقة بالإنجليزية للحصول على قراءة مختلفة قليلًا للأحداث، مثل مقال أدهم يوسف بعنوان "جمهورية المطرية" في صحيفة الأخبار اليوميّة الصادر يوم ستة وعشرين يناير.

في الحقيقة، ما لاحظته اليوم هو أن مواقف الأهالي تتأرجح بين التعاطف والتصفيق واللامبالاة، ولكن لا تسمع أي تعليق مساند للنظام، ولا نشعر بوجود المخابرات، جهاز الشرطة السرية المخيف، كأني بالسلطة خرجت تمامًا من يد النظام الحاكم في هذه المنطقة المستعصية، ولكن الأهم بالنسبة للنظام هو ما يحدث في وسط المدينة تحت عدسات الإعلام العالي.

في قلب المدينة قُتلت الناشطة شيماء الصباغ بدم بارد على يد شرطي، الجريمة تم تصويرها مباشرة ووجه الضحية جال العالم أجمع، ربما لهذا السبب تم التسامح مع مظاهرة التنديد بمقتلها رغم أن التظاهر ممنوع، فكتبت صحيفة مدى مصر يوم 29 يناير "مظاهرة نسوية للتنديد بمقتل الناشطة تنتهي سلمياً"، رغم أن إحدى المتظاهرات قالت إن شرطياً هدها قائلاً "سنقتلكم".

حتى أحمد النجار مدير الصحيفة اليومية الحكومية الأهرام كتب على "أهرام أونلاين" يوم 28 يناير نصًا مطوّلًا للتأسف على موتها بعنوان "دم شيماء والحلم المهدد بين الدولة والثورة"، في المقابل فإن قتلى المطرية الذين بلغ عددهم خمسة عشر بحسب الأهالي ليس لهم وجه، فهم فقراء، بل والأفطع من ذلك ربما هم إسلاميون.

يبدو أن الأحداث الدموية التي شهدناها الأسبوع الفارط لم تؤثر في عزيمة الشباب ولا في عزيمة الشباب اللاتي كن بالطبع متحجبات، ولكن لا تعوزهن الشجاعة، كانوا يرددون الشعارات مع لحن مصاحب بالتصفيق في مشهد إبداعي يعيد للأذهان ثورة يناير 2011، وسط أهازيج تؤكد حضور الإخوان المسلمين وأخرى تؤكد حضور الأوتراس وهي مجموعات من مشجعي كرة القدم التي تلعب دورًا نشطًا في التظاهر ضد النظام العسكري، الكل هنا توخدهم نقمة كبيرة على الشرطة والجيش ناجمة في بعض الحالات عن التعذيب في أقسام الشرطة وهو نفس الشعور الذي كان قد

“الشرطة والجيش.. إيد وسخة” شعار طريف باللهجة المصرية يطلقه المتظاهرون ردًا على شعار “الشرطة والجيش والشعب إيد واحدة”، وهناك أيضًا متظاهرون آخرون يشيرون إلى “غربان الشؤم التي حلت بديارهم” وآخرون يهتفون “يا ضابط ليه قتلت أختي؟”.

لم تكد تمر عشرون دقيقة حتى وصلت مصفحات الأمن المركزي فتفرق الجمع على الشوارع المجاورة وواصلوا الهتاف، كانت هناك امرأة شابة ترتدي البرتقالي تواصل التقاط الصور وسط تواصل للهتافات الدينية من قبيل “لن تركع أمة قائدها محمد”، إلا أن الشرطة لم تخاطر بملاحقتهم، في النهاية، كل المظاهرات الجانبية التي جابت أزقة الحي انتهت في كنف الهدوء، ولكن إلى متى الهدوء؟

إضافة يوم 31 يناير

كما هو متوقع صحف هذا الصباح تلفق الأكاذيب حول ما حصل بالأمس، صحيح أن عدد المتظاهرين تناقص نسبيًا، ولكن لم تكن هناك مواجهات بين المتظاهرين والأهالي، كما ادعت صحيفة “الشروق” في صفحتها الثانية، رغم أنها تعد من الأقل سوءًا بين الصحف اليومية، أما “المصري اليوم” فأكدت أن المتظاهرين طالبوا بعودة مرسي، وهو أمر لم أسمع منه أبدًا.

المصدر: [موند ديبلو](#)

رابط المقال : <https://www.noonpost.com/5239>